

الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام

أ.م.د. عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي

استاذ السيرة النبوية

الجامعة العراقية / كلية الآداب

ملخص البحث

فإنَّ دراسة الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام تستأهل استقراغ الجهد فما من دارس لمجتمع مكة بعد الإسلام، إلا ويستدعي منه التعرف على ديانتهم وأخلاقهم ونظم حياتهم قبيل الإسلام.

فمجتمع مكة، له موقفان، موقف العداء، وموقف الولاء، وقبيلة قريش هي التي انبعث منها رسول الله ﷺ، وكان من أبناء قريش آلاف الصحابة، وكان منهم الخلفاء الراشدون، والقواد الذين ثبتوا الدولة الإسلامية، وحملوا راية التوحيد إلى المجال العالمي، فكان تحت قيادتهم هذا البناء الضخم.

ومكة هذه انفردت بمزايا متألقة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما صباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق، ولذلك كان لقريش سيطرتهم على سدانة الكعبة، فكانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء .

ومن هنا، أصبحت مركزاً جذاباً، ولها مساس في قلب كل المسلمين، وكما ذكرت هفت إليها أرواحهم، وتآقت إليها مشاعرهم، وزاد حنينهم لزيارة ذلك المكان المبارك.

Issue Abstract

The study of the general characteristics of the community such as Mecca, Islam vomiting effort worthy of what the student community to Islam after Mecca, but requires him to identify their religion and morals and life systems such as Islam.

The community of Mecca, his two positions, hostility position, and the position of loyalty, and the Quraysh tribe is boiled off, the Messenger of Allah ﷺ, and it was the people of Quraish thousands of companions, and had them Caliphs, and pimp who held fast to the Islamic state, and carried the banner of monotheism to the world area, was under their command This huge building.

Mecca and this is alone the benefits of radiant, on the basis of religious position, and when her youth by God from the exploits, has been associated with the old House geographically, and therefore it was Quraish control over the stewardship of the Kaaba, was the Arabs prefer Quraysh in everything.

Here it is, has become an attractive center, and has a prejudice in the heart of every Muslim, as I mentioned Haft to their lives, and yearned to their feelings, and increased nostalgia to visit this holy place.



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإنَّ دراسة الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام تستأهل استقراغ الجهد فما من دارس لمجتمع مكة بعد الإسلام، إلا ويستدعي منه التعرف على ديانتهم وأخلاقهم ونظم حياتهم قبيل الإسلام. فمجتمع مكة، له موقفان، موقف العداء، وموقف الولاء، وقبيلة قريش هي التي انبعث منها رسول الله ﷺ، وكان من أبناء قريش آلاف الصحابة، وكان منهم الخلفاء الراشدون، والقواد الذين ثبتوا الدولة الإسلامية، وحملوا راية التوحيد إلى المجال العالمي، فكان تحت قيادتهم هذا البناء الضخم.

ومكة هذه انفردت بمزايا متألفة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما صباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (٢)، ولذلك كان لقريش سيطرتهم على سدانة الكعبة، فكانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء (٣).

ومن هنا، أصبحت مركزاً جذاباً، ولها مساس في قلب كل المسلمين، وكما ذكرت هفت إليها أرواحهم، وتاقت إليها مشاعرهم، وزاد حنينهم لزيارة ذلك المكان المبارك.

وهنا تكمن أهمية موضوع البحث وسبب اختياري إياه.

منهج البحث: حاولت في هذه الدراسة التاريخية، أن أكون متوسطاً بين الاطناب والإيجاز، مازجاً بين أصالة القديم وروح المعاصرة فيما بين المصادر القديمة، والمراجع الحديثة، أو فيما بين العناوين وأسلوب العرض.

خطة البحث: قسمت البحث بعد المقدمة، على ستة مطالب، وخاتمة، وأتبع ذلك بقائمة المصادر والمراجع التي كوَّنت لُحمة البحث وسُداه.

ذكرت في المقدمة، فكرة البحث، وأهمية دراسته، والفائدة المرجوة من ورائه مع بيان منهج البحث فيه.

أما **المطالب**، فهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: تناولت فيه جغرافية مكة المكرمة، وتاريخها، وتركيب سكانها.

المطلب الثاني: خصصته عن الحالة الاجتماعية، وجزأته على محورين:

• **المحور الأول:** العادات والأعراف الاجتماعية.

• **المحور الثاني:** الأسرة وعلاقة الرجل بأهله وبني عمه وقبيلته.

المطلب الثالث: كان عن الحالة الدينية ومعابدات المكيين.

المطلب الرابع: عرضت فيه الحالة التجارية ومصادرهما.

المطلب الخامس: تركز على إدارة مكة ونظام الحكم فيها.

المطلب السادس: اشتمل على الحالة الثقافية، وتوضيح لمعنى كلمتي (الأمية والجاهلية) الواردتان في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما الخاتمة: فلخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من هذه الدراسة، وبناءً على ما تقدم ذكره فإنَّ ما في هذه الدراسة التاريخية من سعة موضوعها، وتشعُّب جوانبها، أرجو أن أكون قد وفقت إلى إبراز النقاط الجوهرية لصلب موضوعي، ولم أَلْ جهداً في تقصي الحقيقة، فقد كانت حريصاً في انتهاج حقائق البحث العلمي المعاصر، ولا أدعي العصمة لما كتبت، فما فيها من صحيح فهو من آلاء الله عليّ، وما جاء فيها من خطأ فهو محض اجتهادي، وعذري أنني اجتهدت الصواب وقصدته: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

المطلب الأول: جغرافية مكة وتاريخها، وتركيبها السكاني

مكة: يجدر بنا معرفة تاريخ مكة، وتحديد الزمن الذي أصبح فيه هذا المكان بلداً وهذا ما لم أعتز عليه بشكل مؤكد لبداية سكنى هذا الوادي، يرجع إلى أيام سيدنا إبراهيم وأبنة إسماعيل -عليهما السلام- أي في التاسع عشر قبل الميلاد، فقد كانت هاجر ورضيعها إسماعيل عليه السلام أول الساكنين بمكة، ثم جاءت قبيلة جرهم من اليمن فاستقرت إلى جوار زمزم، ثم ابتنى إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- الكعبة المكرمة وهي أول بيت لعبادة الله^(٣). وعمدتنا في توثيق هذا القول، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^(٥) وفي هذا المكان قامت مكة المشرفة.

جغرافية مكة: تقع مدينة مكة في بلاد الحجاز في واد منبسط من أودية جبال السراة، تحيط به الجبال الجرداء من جميع الجوانب إلا من ثلاثة منافذ تصلها بطرق اليمن والشام وفلسطين، ومن أسفل جبل احياء، إلى ظهر جبل قينقاع مثل ذلك^(٦).

ومن جراء هذا الوضع الجغرافي، لم تسقط فيها الأمطار، إلا بصورة غير منتظمة في فصل الشتاء وأوائل الربيع وبصورة شديدة فتسبب سيول جازفة في الوديان والشعاب مما قد يلحق الأضرار بالأبنية التي تقع في بطون الوديان، كما كان يحصل للكعبة المشرفة، ولذا فقد عرفت بأنها: ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾^(٧) كما جاء في القرآن الكريم.

ولولا وجود بعض المياه الجوفية التي تم استخراجها بحفر الآبار، لأصاب أهل مكة عنناً لا طاقة لهم به^(٨).

التركيب السكاني: يتكون سكان مكة من طبقات ثلاث:

(١) **الطبقة الصرحا أو الصليبية:** هم كل من ينتمي إلى قريش، وهو فهد بن مالك، فإن البطون القرشية التي نزلت مكة كلها تنتمي إليه، ومن مجموعها تكونت القبيلة التي عرفت بهذا الاسم (قريش) وقد جعل القرشيون من أنفسهم أصل المجتمع المكي، وكل من عداهم من العرب الأحرار، وانظم إليهم عن طريق التبعية بالحلف أو الجوار، وقد تميزت قبيلة قريش على قسمين، فالقسم الذي سكن الوادي بجوار البيت عرف بقريش البطاح، والقسم الذي سكن على أطراف مكة عرف بقريش الظواهر^(٩).

(٢) **طبقة الحلفاء:** هم الذين لا تربطهم مع القبيلة روابط الدم والنسب، وإنما انظموا إليها لأسباب عدة كزواجهم من القبيلة، أو هروبهم من قبيلتهم الأولى وغيرها^(١٠). وكانت مكة ملجأ لكثير من العائدين بحرمتها، ووحدة أهلها، ولذلك كثر الموالي والحلفاء في قريش^(١١).

(٣) **طبقة العبيد أو الأرقاء:** هم الذين يقومون بخدمة بيوت القبيلة وغالباً يكونون من أسرى الحرب، وعن طريق الشراء من الأسواق، أو استقدامهم من الحبشة لهذا الغرض، ولذلك سُمّوا بـ (الأحابيش)، وكانت هذه الطبقة كبيرة العدد بمكة نظراً لأعمال أهل مكة التجارية الواسعة، وقد كان هؤلاء العبيد من:

(أ) أصل أفريقي اشتراهم أثرياء مكة للعمل لهم في مختلف الأعمال ولخدمتهم.

(ب) الأسرى البيض الذين كانوا يقعون في أيدي الفرس والروم أو القبائل المغيرة على الحدود، فيباعون في أسواق النحاسية، ومنها ينقلون إلى انحاء الجزيرة العربية للقيام بمختلف الأعمال. وكانوا أعلى ثمناً من الرقيق السود لأنهم أكثر ثقافة^(١٢).

وكانت القبيلة^(١٣) الأساسية، فيما منذ منتصف القرن الخامس الميلادي، هي قبيلة قريش التي جمعها قصي بن كلاب وأنزلها مكة بعد إجلائه قبيلة خزاعة عنها.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

من المعلوم، أنّ مكة المكرمة تقع بواد غير ذي زرع، غير أن المصادر التاريخية لم تزودنا بمعلومات دقيقة عن الحياة الاجتماعية في مكة قبل استقرار قبيلة قريش فيها بحدود منتصف القرن الخامس الميلادي^(١٤)، كما لو تزودنا المصادر التاريخية برصد واضح عن عدد سكان مكة في زمن قصي بن كلاب الذي انتهت إليه السيادة المطلقة في مكة^(١٥)، فكانت إليه الحجابة^(١٦)، والسقاية^(١٧) والرفادة^(١٨)، والندوة^(١٩)، واللواء^(٢٠)، فحاز شرف مكة كله^(٢١).

والذي نريد التركيز عليه، في هذه الحالة على جانبين:

(١) العادات والأعراف الاجتماعية.

(٢) الأسرة وعلاقة الرجل بأهله.

(١) العادات والأعراف الاجتماعية:

المجتمع المكي، شأنه شأن سائر الأمة العربية في عموم الأخلاق التي كانت مألوفة عندهم، ومن العادات والتقاليد الحسنة وأقرّها الإسلام:

أ) الإيمان بالله وبغيره.

عرف مجتمع ما قبل الإسلام، الإيمان بالله والقسم بغيره^(٢٢)، وقد أكد القرآن العظيم القسم بالله عندهم، بقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾^(٢٣).

فأقر الإسلام الإيمان والقسم، لكنه هذب ذلك، فجعل اليمين مختصة بالله تعالى ناهياً عن الحلف بغيره سبحانه، لقوله ﷺ: ((من أراد أن يحلف فليحلف بالله، أو لينذر)^(٢٤).

ب) مكارم الأخلاق:

(ج) الجوار:

(هـ) العادات الخلقية :

وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل
البراجم، وتنف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، وقال الراوي -
نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة^(٣٠).

وعموماً فقد (كانت طبائعهم تتراءى فيها الفطرة الإنسانية السليمة
التي لم تتصهر بعد في أي بوتقة محولة، إلا أنهم كانت تعوزهم المعرفة
التي تكشف لهم الطريق إلى ذلك)^(٣١).

العادات والتقاليد التي شجبتها الإسلام:

لم تقتصر العادات الموجودة لدى مجتمع ما قبل الإسلام على
العادات الحسنة، وإنما فشلت فيهم العادات البتراء التي استحقوا أن يوصفوا
بالباهلية لتمسكهم بها ودفاعهم عنها، ومنها:

القمار والميسرة، القيان، مجالس اللهو، أكل أموال الناس بالباطل،
غمت الناس^(٣٢)، وأمام هذه المثالب، قال القرآن المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُ اللَّيْسَ وَالْأَصَابُ وَالْأَزْلَمَ رِجْسًا مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣٣).

ومن عاداتهم قتل أولادهم خشية الفقر، فوبخهم الله بقوله: ﴿وَلَا
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ مِّنْ إِنَّمَالِكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ مِّنْ إِنَّمَالِكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ
مِّنْهَا وَمَا بَطَلٌ﴾^(٣٤).

ومن عاداتهم: الحسد واللمز والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد،
فخوفهم القرآن العظيم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذِّبِينَ﴾^(٣٥).

﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ
أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الَّتِي مُوقَدَةُ
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ ۝٦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاةٌ ۝٧ فِي عَمَرٍ مُّددَةٍ ۝٨﴾^(٣٦).

ومن أخلاقهم التي هدمها الإسلام:

ما قاله ﷺ: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنائحة)) (٣٧).
أما المأكولات فهي تعود إلى العُرف والبيئة، وقد وضّح القرآن المعجز الذبائح المحرمة التي كان العرب قبل الإسلام يبيحونها لأنفسهم، فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتَةُ الدَّمِّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ (٣٨).

٢) الأسرة وعلاقة الرجل بأهله وأولاده وبني عمه وقبيلته:

المتأمل في تاريخ العرب قبل الإسلام، يرى واضحاً أن المرأة العربية كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية، فكانت تستشار في مهام الأمور، بل تشارك الرجل في كثير من أعماله (٣٩).

وكان اهتمام العرب بارزاً في اختيار زوجاتهم، فحرصوا على أن تكون الزوجة من المنجبات المتوفرة فيهن النجابة والذكاء والجمال، فعليها يتوقف مستقبل العشيرة ومكانة الجيل الجديد.

وينتج عن المصاهرة بين الاثنين ألفة بين القبيلتين وموالة بين العشيرتين (٤٠) وبالجملة فإنَّ المنتبِع لأشعار العرب لا يشمُّ منها رائحة الصغار والإهانة للمرأة، فجميع الشعراء - تقريباً - قصائد لهم التي بها يفاخرون بمحامد قومهم لا يذهبون إلى شيء من ذلك حتى يعطوا المرأة قسطها مما يحب النسيب، ويرون أن شعرهم بدون ذلك يفقد العطر، وتلمس هذا في أشعار حاتم الطائي - شيخ الكرام - وعنتر بن شداد العبسي - شيخ الشجعان (٤١) - وغيرهما.

من أجل ذلك، يمكننا القول: أن علاقة الرجل العربي بأهله كانت على درجة من الرقي والاحترام أكثر مما يخيل إلينا.

وكان جمهور العرب يقترونون بالزوجة بعد رضاء أهلها، كما كان كثير منهم يستشيرون البنات في أمر زواجهن. وينبغي ألا نخلط بين هذا الارتباط بالزواج وبين غيره مما عُرف عن بعض العرب من اجتماع الرجل بالمرأة بغير هذه الطريقة، وهذا الأمر لم يكن يستحسنه جمهور العرب مع ما عرف عنهم من غيرة على الأهل ومحافظة على الشرف، حتى كان من النادر أن يرى الإنسان بنتاً بالغة قد أدركت سنّ الزواج، أو أرملة صغيرة في سنّ لم تتزوج^(٤٢).

ولكن على الرغم مما سلف، فلا يعني أن المرأة لم يصيبها بخس أو تعسف أو اضطهاد، فقد منيت المرأة في طور الجاهلية بآلام وجروح اجتماعية على صعيد النكاح، والميراث، والطلاق.

فقد اتخذ النكاح صوراً متغايرة، نوع واحد منه أقرّه الإسلام فقط وهو أن يخطب الرجل امرأة من وليّ أمرها، لقاء مهر وشاهدين وبرضا المرأة، (وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على هذا النحو في النكاح، فإن الله استخلص رسوله ﷺ (من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة)^(٤٣).

أما بقية الأنكحة، فقد أبطلها الإسلام ولم يتعرف بها بحال، مثل: **نكاح المقت:** وهو زواج الرجل امرأة أبيه بعد وفاته^(٤٤)، وفي تحريم هذه الظاهرة قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٤٥).

نكاح الشغار: أن يُزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق، وفي تحريم هذا النمط، قال ﷺ: ((لا شغار في الإسلام))^(٤٦).

نكاح البدل: إن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك.

نكاح الزائدة على الأربع: هو أن يجمع الرجل ما يشاء من النساء^(٤٧).

هذا ما ألفه بعض العرب قبل الإسلام - وهم الندرة - ومن الحصافة - كما أرى - ألا تُعمّم الأنكحة المقيّنة على قريش، وكثير من قبائل العرب.

وحسبنا أن نعلم أنه لم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً، ولا يجال عليها السهام^(٤٨). وهذا مما امتازت به المرأة في مكة.

ومن عادات العرب ألا يُزوّجوا بناتهم لغير العرب، ولقد حاول كسرى - ملك الفرس - مرة أن يخطب لنفسه من بنات تابعه النعمان بن المنذر - ملك الحيرة - فرفض، وقد دفع النعمان حياته لموقفه ذلك.

ولم يكن عند العرب حدّ لتعدد الزوجات، فقد جاء الإسلام وتحت الرجل الواحد ثمان نسوة، أو عشر، فحصرهن على أربع قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(٤٩).

ومما لاقتة المرأة من هضم لبعض حقوقها قبل الإسلام: عدم الميراث، فقد كان العرب يُورثون بشيئين:

(١) **النسب:** وهم الأبناء الكبار الذي يقاتلون على الخيل، ومن هنا كانوا لا يُورثون النساء والأطفال، وحجتهم: (لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحازم الغنيمة)^(٥٠).

(٢) **السبب:** ويشمل التبني، الحلف، المعاقدة. وعليه، فالزوجة كل ما تتركه يكون من حظ زوجها، دون أولادها وأقاربها، على حين أنها لا ترث زوجها في شيء. ومما عانتة المرأة أيضاً، ما كان عليه أمر الطلاق (كان الرجل في الجاهلية يُطلق امرأته ثم يرجعها قبل أن تنتقضي عدتها، ولو طلقها ألف مرة كانت القدرة على المراجعة ثانية له)^(٥١).

وليس هذا فحسب، فهناك ما هو أدهى وأمر: **طلاق العضل:** هو أن يُطلق الرجل زوجته ويفارقها، ثم تدركه الغيرة فلا يأذن لها بالزواج من آخر.

ومن المآسي التي حاقت المرأة أنه شاع في بعض المجتمعات أسد وتميم: وأد البنات.

والوآد: هو دفن البنات وهن أحياء خوفاً من العار، فكانوا يحفرون حفرة فإذا ولدت الحامل بنتاً ولم يشأ أهلها الاحتفاظ بها رموا بها في الحفرة، وهذا من إشتطاط الحرص.

ويقال أول من وأد بناته قبل الإسلام: قيس بن عاصم التميمي ويبدو لنا بالنسبة إلى ما نسب لـ (قيس بن عاصم) أنه أول من وأد بناته، فيه نظر: لأنه ممن أدرك الإسلام، وأعلن إسلامه، والمتأمل يستبعد التوفيق بين بداية الوآد وإسلام قيس، فالوآد عند ظهور الإسلام وشيك الانقراض.

والذي نخلص إليه :

أن حياة المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام بين جانبيين متناقضين: جانب سلبي، وآخر إيجابي.

أما معاملة العرب لأبنائهم الذكور فكانت تتطوي على الحنان والمحبة إلا قليلاً من الفقراء والضعفاء كانوا يقتلون أولادهم مخافة الإملاق - وهذا الأمر لا يصح نسبته إلى العرب قاطبة، فما يشيع في مجتمع ضيق لا يتحملة المجتمع كله - وأما معاملتهم للأخ وابن العم، فكانوا ينصرونهم أخطأوا أو أصابوا، عدلوا أو ظلموا.

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

هذا حال العربي مع أهله وأخيه وبني عمه^(٥٢).

أما علاقة العربي مع قبيلته، فتتلخص:

إذا جني أحدهم جناية حملتها قبيلته، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة ولرئيسها خيرها وإذا أبت قبيلته أن تحميه لجأ إلى قبيلة أخرى ووالاه، وحسب نفسه أحد أفرادها، الشعور بارتباطه بقبيلة يحميها وتحميه هو المسمى بالعصبية.

وبلغ من التعصب للقبيلة، أن قال دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد^(٥٣)

المطلب الثالث: الحالة الدينية

إنَّ أصدق مصدر يبني عقائد العرب قبل الإسلام، ومنهم أهل مكة هو القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو مرآة الحياة الجاهلية، وذلك من خلال الآيات المكية التي تناولت عقائد المكين، ووضحت أنَّ العرب المشركين كانوا يقرون بأنَّ الله هو خالق الكون والحياة والمدبر لأمرهما نحو قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٥٤).

فمسألة الربوبية لم يختلف فيها أحد، الخلاف في مسألة كونهم لم يخصصوا الله وحده بالعبودية، هذا هو الذي حصل فيه الخلاف^(٥٥).

إنَّ إيمانهم بالله على النحو المشار إليه آنفاً، لم يجعلهم يتجهون إليه وحده بالعبادة، بل أنهم عبدوا إلى جانبه آلهة وأصناماً على أمل يجعلهم يتجهون إليه زلفى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٥٦).

فهم يعرفون الله لكنهم يستشفعون إليه بالآلهة المزعومة كما ذكر القرآن الكريم: ﴿أَيُّكُمْ لَشَّهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾^(٥٧).

إن هذا الاعتقاد يدل على أنَّ المشركين كانوا يرون أنَّ آلهتهم التي يشركونها في عبادة الله أقل منزلة من الله غير أنها على الرغم من ذلك تتمتع بحظوة خاصة عند الله لكونها قادرة على الشفاعة لهم عنده^(٥٨).

وتبع الانحراف في العقيدة: انحراف في العبادة والسلوك والشعائر والشرائع، فإذا بمناسك الحج تدخلها الوثنية، حيث وضعت الاصنام حول الكعبة وجرى الطواف حولها، بالتعري من الثياب أحياناً، وأصبحت

قريش لا تخرج إلى عرفات بل تقف بمزدلفة خلافاً للناس، وكانوا يُسمُّون "الحمس" (٥٩).

فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، ذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ﴾ (٦٠).

ومن زيادتهم ونقصانهم في العبادة أيضاً: كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور. ويرون تحريم الجمع بين الحج والعمرة، حتى جاء الإسلام فجوز الجمع بين الحج والعمرة. ومما زاده في العبادة: المكاء والتصدية في المسجد الحرام وهما الصغير والتصفيق، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ (٦١).

ومن ذلك استسقاؤهم بالأنواء وذبحهم على النصب تعظيماً للأصنام ومن معتقداتهم: إنكار البعث: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعُثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ (٦٢).

وكان أول من أدخل الشرك إلى أرض العرب، وحملهم على عبادة الأصنام: "عمرو بن لحي بن قمة جد خزاعة" حيث جاء من أرض البلقاء بصنم يقال له: (هبل) فنصبه في مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه (٦٣).

وبهذا يتبين تاريخ تحول العرب عن عبادة الله إلى الوثنية.

معبودات المكيين:

من معبودات أهل مكة الوثنيين:

مناة: وكانت منصوبة على البحر بناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة، وكانت قريش تعظمها.

العزى: وكانت أعظم الأصنام عند قريش (٦٤).

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرائيق العلى، إن شفاعتهن لترتجى.

كما كانوا يقولون: بنات الله وهن يشفعن إليه^(٦٥). فأنزل الله:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٦) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (١٧) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (١٨) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (١٩) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (٦٦).

وهكذا انتشرت عبادة الأوثان في الجزيرة العربية وشاع في أهلها الشرك، فانسلخوا بذلك مما كانوا عليه من عقيدة التوحيد واستبدلوا بدين إبراهيم، وإسماعيل -عليهما السلام- غيره، وانتهوا إلى مثل ما انتهت إليه الأمم الأخرى من الضلالات والقبائح في المعتقدات والأفعال^(٦٧). وكان بين العرب أناس مستتبIRON فطنوا إلى سوء حالتهم الدينية وحاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقادات أرقى منها، ودعوا إلى نبذ عبادة الأوثان والتخلص من عادات الجاهلية كؤاد البنات وشرب الخمر ولعب الميسرة^(٦٨).

وممن اشتهر من هؤلاء أربعة نفر، ثلاثة من قريش والرابع من حلفائهم.

فالقريشيون: زيد بن عمرو بن نفيل العدوي بن عدي بن كعب، وعثمان بن الحويرث الأسدي بن عبد العزى، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي^(٦٩).

الرابع: عبيد بن جحش الأسدي بن خزيمة وأمه أمية بنت عبد المطلب^(٧٠)، وتوضيح المصادر أن عدد الأحناف لم يقتصر على هؤلاء الأفراد من قبيلة قريش، بل ذكر أفراداً آخرين من قبائل شتى منهم: أمية بن الصلت، وقيس بن ساعدة الأيادي، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس من

بني النجار في يثرب، وخالد ابن سنان من بني عبس، أكثم بن صيفي وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام^(٧١).

الزلم: القدح الذي لا ريش عليه، والأزلام مكتوب عليها: أمر ونهي وأفعل، ولا تفعل.

وبرغم ما كان للعرب من الأصنام والأوثان، فأنهم كانوا يُعظمون الكعبة ويجعلونها فوق إجلالهم لأي معبود آخر^(٧٢).

ويظهر سبب عبادة الأصنام، بما رواه البخاري عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٧٣).

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى لهم الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، حتى إذا هلك أولئك عبدت.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب^(٧٤).

وصفة القول:

إنّ ديانة المشركين تقوم على الإيمان بالله بأنه الخالق، وعلى الإيمان بتعدد الآلهة، وأنها رموز مقربة إلى الله، هكذا كانت عبادتهم وحياتهم أدينية قبل الإسلام، وهو شرك، وعبادة غير مقبولة عند الله، ومن يقرأ كتاب الأصنام وهو أهم مرجع في هذا الباب يصل إلى حقيقة كبرى هي: أنّ عبادة الأصنام عند العرب لم تكن أمراً جاداً لأنّ فيها كثير من الإهانات للأصنام من عابديها أتباعها تحدث من حين إلى آخر.

المطلب الرابع: الحالة الاجتماعية

أوضح القرآن الكريم، على لسان إبراهيم عليه السلام، موقع مكة بأنه غير ذي زرع: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

الْمَحْرَمَ ﴿٧٥﴾، ولما كانت بلداً غير ذي زرع، فقد اعتمدت على التجارة وما يجلب لها من الخارج.

ومما ساعدها في نمو تجارتها: موقعها الجغرافي، فهي تقع على طريق القوافل التجارية، [وبذلك فإن مكة ارتبطت بنظام المحطات التجارية الذي أنشأته حكومات اليمن القديمة] ^(٧٥). بين اليمن جنوباً، والشام شمالاً وكانت قوافل قريش تحمل من أسواق صنعاء: البخور والعطور ^(٧٦) والحجارة الكريمة وتحمل الجلود ذات الرائحة الطيبة، وتحمل من الشمال: القمح والدقيق والزيت والخمر ^(٧٧).

وبلغ من اهتمام القرشيين بالتجارة أنهم كانوا يرحلون رحلتين في العام: رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قَرْيَشٌ ۖ لِّأَلْفِهِمْ رِحْلَةٌ ۚ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۚ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ^(٧٨).

إنّ هذا التعامل التجاري الواسع لتجار مكة فرض عليهم التعامل بمختلف أنواع العملات، وكان من أبرزها الدينار البيزنطي، وهو عملة ذهبية، والدرهم الساساني وهو عملة فضية، ولما لم يكن لأهل مكة عملة خاصة بهم فإنهم كانوا يتعاطون العملاتين ويقدرّون قيمتهما على أساس وزنها باعتبارها معدناً من المعادن ^(٧٩).

وتشير المصادر إلى أن تجار مكة لم يقتصرُوا اهتماماتهم الاقتصادية على التجارة، بل تعدوا ذلك إلى استثمار أموالهم في الزراعة خارج مكة وبخاصة في منطقة الطائف، فقد ذكر أنه [كانت للعباس بن عبد المطلب أرض زراعية وكان الزبيب يحمل فيها فينبذ في السقاية

للحاج وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتون بها من مكة فيصلحونها^(٨٠).

وكان الربا مظهراً من مظاهر الحركة الاقتصادية التجارية، وكان أهل مكة يعملون عليه كثيراً في تنمية ثرواتهم^(٨١)، ويذكر المسعودي، أنّ زعماء قريش كانوا يفرضون ضريبة على من يدخل مكة من التجار الغرباء عن قريش عرفت بـ (العشر)^(٨٢)، وقيل: أن قريشاً سميت بهذا الاسم: لاشتغالها بالتجارة، فلم يكونوا أصحاب زرع، وهي من قولهم: فلان يتقرش المال أي: يجمعه^(٨٣).

وبالإضافة إلى حرفة التجارة، كان الحج من مصادر الثروة في مكة، فالحج إلى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب قبل الإسلام ووسيلة للاجتماع والالتقاء والتعارف، كان وسيلة من وسائل التكسب للتجارة، فكانت تقام في مواسم الحج أسواق تجارية وأدبية، مثل سوق عكاظ^(٨٤)، سوق مجنة^(٨٥)، سوق ذي المجاز^(٨٦)، وفي هذه الأسواق كان العرب من سائر أنحاء شبه الجزيرة يقدمون بسلعهم المختلفة وبذلك يكون للمكيين سوق تجاري للمبادلة والاستهلاك^(٨٧)، وقامت في مكة صناعات بسيطة لصناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال، وكذلك عرفوا صناعة الفخار من قدور وجفان وصحافة وأباريق، وصناعة الأسرّة والأرائك^(٨٨)، وأدوات الكتابة من قرطاس وقلم ومداد ورقوق، وهذه الأعيان والمسميات وردت في آيات من القرآن الكريم مكية ومدنية^(٨٩).

وبفضل هذا النشاط أصبحت مكة في بداية القرن السادس للميلاد مركزاً تجارياً ومالياً خطيراً^(٩٠).

ولكن لا يعني هذا أنّ مجتمع مكة كانوا جميعاً يعيشون في بحبوحة الرفاه، فقد كان هناك بون شاسع بين عظماء مكة وسواد الناس. ولم تكن الثروة موزعة توزيعاً عادلاً، بل كانت مكدسة عند نفر احتكر

لنفسه المال والثراء. أما الأكثرون فكانوا فقراء حتى ذوي قرابة هؤلاء
المثرين، كان أغلبهم فقراء لا يجدون منهم عوناً^(٩١).

هذا هو الواقع التجاري الذي كان قائماً في مكة عند ظهور

الإسلام.

المطلب الخامس: إدارة مكة

تولى قصي بن كلاب أمر مكة منتصف القرن الخامس الميلادي،
وبين قصي وظهور الإسلام مدة لا تزيد على مائة وخمسين سنة^(٩٢).
وحديثنا على هذه الفترة - حصراً - ولكي تكتمل الصورة، علينا أن ندخل
البيوت من أبوابها.

كان قصي في قومه سيداً مطاعاً معظماً، جمع قريشاً من متفرقات
مواضعهم من جزيرة العرب، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على
حرب خزاعة وإجلاتهم عن البيت، فملكوه^(٩٣).

وبعد موت قصي لم يصبح لقريش زعيم عام ترجع إليه القبيلة،
وإنما أصبح يحكمها (الملاً)^(٩٤)، وحرص الرجال الملاً على وحدة القبيلة
إرضاء العشائر فاستحدثوا عشر وظائف أخرى هي:

العمارة: وهي مراعاة الأدب والوقار في البيت الحرام.

المشورة: هي أنهم لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على
صاحبها.

الاشناق: هي خيمة تجمع فيها أسلحة الجيش.

الأعنة: هي قيادة خيل قبيلة قريش في الحرب.

السفارة: هي الاتصال بالقبائل الأخرى في المناقرات
والمفاوضات.

الأيثار: هي الأزام التي يضرب بها عند (هبل) كبير الأصنام في
جوف الكعبة.

القبة: هي خيمة تجمع فيها أسلحة الجيش.

العقاب: هي راية قریش، وكان من واجب حامل الراية أن يخرجها: إذا حميت الحرب.

الحجابه: هي قفل البيت الحرام وفتحة للزائرين.

الحكومة: هي الفصل في المناقرات والخصومات والأموال المحجرة، وهي الأموال المسماة للآلهة^(٩٥).

وقد استمرت هذه المناصب حتى فتح مكة، حين ألغاها النبي ﷺ جميعاً إلا سدانة البيت والسقاية^(٩٦).

إن إدارة مكة مؤلفة من مجموعة متنوعة من الوظائف التي تتعاون العشائر القرشية على الاضطلاع بعبئها من خلال قيام أفراد تتوافر لديهم المؤهلات وحسن التمثيل لقومهم في تدبير شؤونها استناداً إلى قواعد الشورى والعرف السائد بين العرب، وكان يطلق على هؤلاء رجال الملاء^(٩٧).

وكان أهل ما قبل الإسلام لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء، النجدة، الصبر، الحلم، التواضع، البيان.^(٩٨)

ولقد قام أبناء قصي وأحفادهم بأعمال مهمة أدت إلى ازدهار مكة. ابرزت مكانتهم وفضلهم ومكنت لسيادتهم. وتمكن هاشم بن عبد مناف من عقد الإيلاف وتوسيع نطاق التجارة المكية، وقام بحفر آبار لخدمة قریش والحجيج معاً، وعرف المطلب أخو هاشم بأنسك ومكارم الأخلاق، وعرف عبد المطلب بن هاشم بالفياض لجوده، وبشبية الحمد لكثرة حمد الناس له. وهكذا فإنّ عشيرة الرسول ﷺ كانت تتبوأ مكانة اجتماعية خاصة في مكة عند ظهور الإسلام.^(٩٩)

لم يكن في مكة جيش نظامي ثابت، فهي مجتمع قبلي، وكان جيشها يتألف من رجال القبيلة أنفسهم ومن ينظم إليهم من رجال القبائل الأخرى التي ترتبط معهم برباط الحلف.

وتقدر قوة قريش الذاتية ألف ونصف من المحاربين^(١٠٠) ، ولكن تستطيع أن تستأجر المحاربين أو تجمع من أحلافها بما يفوق هذا العدد بكثير [إن قريشاً جمعوا واستأجروا حياً من قبائل العرب فسارت غطفان وأسد وسليم وقريش ومن دخل فيها فاجتمع منهم نفر جم] وكان مجموع ما جمعته في غزوة الخندق عشرة آلاف مقاتل^(١٠١).

ولكن تبقى [القبيلة هي الوحدة السياسية عند العرب في العصر الجاهلي، فهي بذلك مصدر للقوة السياسي والدفاعية، فتعمل على بقاء المجتمع وحفظ كيانه]^(١٠٢).

ووحدة أهل مكة يفسر شدة مقاومتهم للإسلام عند ظهوره، فقد رأوا فيه تهديداً لوحدة قريش^(١٠٣).

ومجمل القول:

إنّ النظام الإداري في مكة، يتكون من أشخاص تؤهلهم مواهبهم وقدراتهم لقيادة الناس، وتدبير شؤونهم، وقد أثبت رجال الملأ نجاحهم في كثير من حسم المنازعات والمنافسات التي تنشأ بين الأفراد والعشائر. [فملأ مكة أناس محافظون سنتهم التعلق بالقانون الموروث وعلى الناس الطاعة والانقياد]^(١٠٤).

إذن رجال الملأ سلطة سيرت أمور مكة منذ عهد قصي بن كلاب، حتى دخولها الدولة الإسلامية عام الفتح ٨ هـ.^(١٠٥)

المطلب السادس: الحالة الثقافية

عرفنا من خلال الحالة التجارية، أن مكة محط جذب الناس لغرض التجارة والحج، وفي غضون هذا تشهد أسواق مكة، مختلف المناظرات والمساجلات بين ممثلي القبائل من زعماء وشعراء وغيرهم. وهذا مما ساعد أهل مكة على التكلم باللغة الفصيحة، وخير ما يدل على ذلك، أن الله - عزّ وجل - وصف رسوله - ﷺ - حال قريش في

بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والمكر واللدد عند الخصومة^(١٠٦).

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾^(١٠٧).

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(١٠٨).

﴿مَكْرُهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾^(١٠٩).

ولشهرة العرب ببلاغة العقول، نزل القرآن الكريم بلغتهم، ليكون التحدي من جنس ما اشتهروا به^(١١٠).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(١١١).

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١١٢).

على أن التعليم في هذا العصر لم يكن منتشراً في بلاد العرب - وعلى الأخص مكة - ما كانت تعني بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة. ولكن لم يحل عدم انتشار التعليم في مكة دون قيام من يجيد القراءة والكتابة^(١١٣).

إن لا ورود كلمات الكتابة ومشتقاتها في القرآن - العزيز - أكثر من ثلاثمائة مرة، وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو تسعين مرة، بأساليب متنوعة^(١١٤).

مما يدل على أنها كانت معروفة على نطاق واسع في مكة. وكانت قريش قبل الإسلام، تألف منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه لخصلتين: العلم والطعام^(١١٥).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يشاور المهاجرين والأنصار، ومسلمة الفتح من أهل مكة^(١١٦). فكان لهم أثر في توجيه السياسة في المدينة عززته خبراتهم وخدماتهم التي قدّموها بعد إسلامهم^(١١٧)، فاعتمدتهم النبي ﷺ في إدارة الدولة الفتية وكذلك الخلفاء الراشدون.

إنّ عدد الذين يُحسنون القراءة والكتابة في مكة كان يفوق الرقم الذي ذكره البلاذري^(١١٨)، "سبعة عشر" حينما دخل الإسلام في قريش. ومما يؤيد هذا الاستنتاج موقف الرسول صلوات الله عليه من أسرى بدر "فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان المدينة فعلمهم فإذا حذقوا فهم فداؤه"^(١١٩).

وهذا يفيد أنّ الذين يجيدون القراءة والكتابة في مكة أكثر من أهل المدينة ويعزز هذا أن الآيات المكية تشير إلى معرفة المشركين من أهل مكة للقراءة والكتابة من ذلك قوله عز وجل: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١٢٠).

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾^(١٢١)، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾^(١٢٢). وفي مكة كانت المعلقات التي اختيرت من سائر الشعر^(١٢٣).

الأمية في قريش:

القرآن الكريم والسنة النبوية أوردا كلمتي (الأمية) و(الجاهلية). قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١٢٤)، فالقرآن الكريم سمى العرب أمة أمية، جاء في تفسير الرازي^(١٢٥): الأميون أمة العرب كما أنهم أمة أميون لا كتاب لهم ولا يقرعون كتاباً ولا يكتبون، ويقول ابن كثير: الأميون هم العرب^(١٢٦).

وورد أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما ضاعف الصدقة على نصارى بني تغلب بدل الجزية قال: إنهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب^(١٢٧)، وقد وردت كلمة (أمية) في حديث رسول الله ﷺ: ((نحن أمة أمية لا تحسب ولا تكتب))^(١٢٨)، ولكن علينا أن نعلم: أنّ من بين العرب من كان يحسن القراءة والكتابة (وكانوا يعرفون الأعداد ومضاعفاتها وكسورها)^(١٢٩)، ولكن على الرغم من هذا، فالكتابة كانت فيهم عزيزة.

ومن هنا.. سُمّوا بـ (الأميين) لأنهم كانوا لا يقرءون ولا يكتبون في الغالب.

وقيل سموا بـ (الأميين) لأنّ اليهود يقولون عن غيرهم من الأمم إنهم (جوييم) باللغة العربية، أي أمميون نسبة إلى الأمم بوصفهم هم شعب الله المختار، وغيرهم هم الأمم^(١٣٠).

أما كلمة: (الجاهلية) الواردة في القرآن المجيد، والحديث الشريف، والشعر، فلا تعني المفهوم اللغوي: ضدّ العلم بشكل مطلق، وإنما هو مُحدد بعبادة الله وتعاليمه [إنّ لفظة الجاهلية مصطلح قرآني، لم ترد في استعمال العرب قبل نزول القرآن الكريم، والمصطلح القرآني هو استخدام خاص للفظ من الألفاظ يخصصه بمعنى معين لا يفهم من المعنى اللغوي على هذا النحو، فالصلاة في اللغة مثلاً هي الدعاء، والزكاة هي الطهارة، ولكن الصلاة في المصطلح القرآني هو تلك الهيئة الخاصة التي يقف فيها الإنسان بين موله راكعاً.

والزكاة هي تلك النسبة المعينة التي يؤديها المسلم من ماله لتتفق في مصارفها المحددة في كتاب الله، و(الجاهلية) كسائر المصطلحات القرآنية- لها معناها المحدد الذي يدخل بطبيعة الحال في أطار المعنى اللغوي العام، ولكنه يتخذ دلالاته المحددة من استخدام القرآن له وتحديده لمعناه^(١٣١).

قال جلّ وعلا: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١٣٢).

أي: إذا أمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فأعرض عنهم^(١٣٣).

وهكذا الشأن في حال ورودها في الحديث الشريف، فقد قال ﷺ

لأبي ذر وقد عيّر رجلاً بأمّه: ((إنك أمرؤ فيك جاهلية))^(١٣٤).

فأبو ذر ؓ من الصحابة وضمن الطبقة الأولى، ولكن حينما

يوجد الخلل مع الإسلام: تطلق الجاهلية، من هنا قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(١٣٥)

أي: لا يسفه علينا أحد، فنسفه عليه فوق سفههم. فالجاهلية معناها: الجهل، ولكن معناه الاصطلاحي في القرآن: هو إمّا الجهل بالحقيقة الألوهية (وهي الحالة العقلية)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾^(١٣٦).

وإمّا أتباع غير ما أنزل الله (وهي الحالة النفسية والسلوكية)^(١٣٧). إذا يبدو التفسير الصحيح للجاهلية إذا ما أطلقت في القرآن أو السنة أو في أي كتاب إسلامي هادف هي: مجانية المنهج الرباني وليس الجهل الذي هو نقيض العلم.

ومن ثم فهي ليست صفة للعرب قبل الإسلام، بل صفة للأمم التي حادت عن طريق الله وهي ليست مقرونة بزمن ومكان محددين^(١٣٨)، فعمر بن هشام الملقب بأبي الحكم، لقّب في الإسلام بأبي جهل^(١٣٩)، وحسبنا أن نقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١٤٠).

وهنا نتهاوى الدعوى القائلة: إنّ لفظة الجاهلية في القرآن، أو في السنة تعني الجهل الذي هو ضد العلم فقط، وذلك للنيل من العرب والمسلمين معاً.

كما إن الأُمّية الواردة أيضاً في القرآن الكريم أو في السنة المظهرّة ليست على ظاهرها بشكل مطلق، وإذا ما عمّمت فإنّه جزاف لا تدعمه حقائق التاريخ.

الخاتمة وأهم النتائج

بفضل الله ومنه، أنهيت هذه الدراسة التاريخية بمطالبتها الستة، وقد خلصت إلى النتائج الآتية:

(١) إنّ مكة المكرمة انفردت بمزايا متألفة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما حباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

(٢) يتألف سكان مكة من طبقات ثلاث:

(أ) الصرحاء أو الصليبية.

(ب) الحلفاء.

(ج) العبيد أو الأرقاء.

(٣) المجتمع المكي شأنه شأن سائر الأمة العربية في الأخلاق، فمن العادات الحسنة التي جُبِلوا عليها وأقرّها الإسلام: الكرم، الشجاعة، الوفاء بالعهد، الإحسان إلى الجار، الاغتسال من الجنابة، غسل الموتى وتكفينهم.

كما لديهم عادات شجبتها الإسلام ومنها: الخمر والميسر، وعدم ميراث المرأة، وقتل الأولاد خشية الفقر.

(٤) إنّ ديانة المشركين تقوم على الإيمان بالله بأنه الخالق، وعلى الإيمان بتعدد الآلهة، وأنها رموز مُقَرَّبَةٌ إلى الله، وهو شرك، وعبادة غير مقبولة عند الله، بيد أنه كان من بين العرب من نبذ عبادة الأوثان، وسُمّوا بـ (الاحناف).

(٥) مكة بلد غير ذي زرع، اعتمدت على التجارة وما يُجلب لها من الخارج، ومما ساعد نمو تجارتها موقعها الجغرافي وارتباطها بالبيت الحرام، وكان لهم رحلتان في العام: رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام.

٦) إنّ نظام الحكم في مكة، يتكوّن من أشخاص تُؤهلهم قدراتهم لقيادة الناس، وقد أثبت رجال المأّ نجاحهم في كثير من حسم المنازعات، ولم يكن في مكة جيش نظامي، فهي مجتمع قبلي، وهي بذلك مصدر للقوة السياسية والدفاعية، ووحدة أهل مكة يُفسّر شدة مقاومتهم للإسلام.

ولذلك نزل القرآن العظيم، بلهجتهم، وفي مكة كانت المعلقات التي اختيرت من بين سائر الشعر العربي.

٧) وما ورد في القرآن الكريم من كلمتي (الأميّة- والجاهلية)، فليس على ظاهرهما، فكلمة الأميّة لا تعني ضدّ القراءة الكتابة، وإنما وصف لما كان عليه العرب من ندرة من يُحسن القراءة والكتابة، فسُمّوا بـ (الأميين) لأنهم في الغالب لا يقرعون ولا يكتبون. وكذلك كلمة (الجاهلية) لا تعني المفهوم اللغوي: ضدّ العلم بشكل مطلق، إنما هو مُحدّد بعبادة الله وتعاليمه، وحيثما وجد الخلل مع الإسلام، تطلق كلمة (الجاهلية)، وإذا ما عُمّمت فإنه جُزّاف لا رصيد له من الواقع التاريخي.

الهوامش

- (١) سورة آل عمران: آية ٩٦.
- (٢) الأصفهاني، أبو الفجر علي بن الحسين بن محمد، (ت ٣٥٦هـ)، القاهرة، مطبعة مصورة عن دار الكتب، ١٩٦٣م: ٣١٣.
- (٣) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م: ص ٩٣؛ العمري، د. أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والفكر، ١٩٩٣م: ٨/١.
- (٤) سورة البقرة: آية ١٢٧.
- (٥) سورة الحج: الآية ٢٦.
- (٦) الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الرحمن الحمصي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م: ٨/١٨٧؛ البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، ١٩٤٥م: ص ٥٠؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، القاهرة، دار الفكر، ١٩٦٥م، ط ٢: ص ٩٥.
- (٧) سورة إبراهيم: آية ٣٧.
- (٨) العلي، د. أحمد صالح، محاضرات في تاريخ العرب، بغداد، ١٩٥٥م: ص ٧٧-٧٨.
- (٩) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: د. مفيد محمد قبة، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٦م: ٣/٣٢٠.
- (١٠) سالم، د. عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مصر، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨م، ص ٤٣٥.
- (١١) ابن هشام، محمد بن عبد الملك النحوي، (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م: ٢٥٨.
- (١٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٤٢٠؛ الأصفهاني، الأغاني: ١/٦٥؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول: ص ٢٢٨-٢٢٩.

(١٣) القبيلة: جماعة من الناس ينتمون أو يزعمون بأنهم ينتمون إلى جدّ واحد، انحدرت منه، ويسكنون في الغالب منطقة واحدة ينتقلون في أرجائها إلى ما جاورها من المناطق إذا دعت الحاجة، تربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة. ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي، (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨م: ٢/٤٢٤. فعصبية القبيلة موروثة بين أشخاص إذ يقدم الإنسان نفسه للموت في معركة من أجل شرف القبيلة وكرامتها. قطب، محمد، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة القدس، ١٩٩٩م، ط١: ص ٨٤.

(١٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٠٣.

(١٥) المصدر نفسه: ١/٦١٧.

(١٦) الحجابة: هي قفل البيت الحرام وفتحه للزائرين، وكانت هذه الوظيفة حينما جاء الإسلام بيد عثمان بن طلحة من بني عبد الدار.

(١٧) السقاية: هي توفير الماء لشرب الحجاج في موسم الحج، فصنع قصي حياضاً للماء من أرم فيسقى فيها بمكة ومن عرفة. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت ٢٣٠)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م: ١/١٧٣.

(١٨) الرفادة: هي استضافة الحجاج في مكة وتوفير الطعام لهم في موسم الحج، ولصعوبة قيام شخص واحد باستضافة كافة الحجاج فقد دعا قصي قومه أن يساهموا معه في تغطية نفقات ذلك، فوافقوا على ذلك. ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٤٠.

(١٩) الندوة: هذه الدار بمثابة دار الحكومة الذي تدار فيه أمور قبيلة قريش كلها، وما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة فيما ينوبهم، كما كانت الدار المركز الذي تتطلق منه وتعود إليه القوافل التجارية. ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/٧٠.

(٢٠) اللواء: هو العلم الذي يحمل في المعارك وتدور حوله الحروب، وهو يرمز عادة لمن تكون بيده قيادة قومه في الحروب والمعارك. ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٥.

(٢١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٥؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة: ص ٩١٦.

- (٢٢) علي، د. جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٤/٦.
- (٢٣) سورة النحل: آية ٣٨.
- (٢٤) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٦م، ط١، باب النهي عن الحلف بغير الله.
- (٢٥) سورة البقرة: آية ١٧٧.
- (٢٦) سورة النساء: آية ٣٦.
- (٢٧) سورة الذاريات: الآيتان ٢٦-٢٧.
- (٢٨) ابن الهمام، كمال الدين الهمام الحنفي، (ت ٨٦١هـ)، فتح القدير، مصر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٧٠م: ٩٨/٤.
- (٢٩) علي، د. جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٣/٦.
- (٣٠) مسلم، صحيح مسلم، باب خصال الفطرة، رقم (٢٦٠).
- (٣١) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، مكتبة الشروق بغداد، ١٩٩٠م: ص ٣٤.
- (٣٢) النووي، أبو الحسن، السيرة النبوية، لبنان - صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ: ١٠٨.
- (٣٣) سورة المائدة: آية ٩٠.
- (٣٤) سورة الأنعام: آية ١٥١.
- (٣٥) سورة سبأ: آية ٣٥.
- (٣٦) سورة الهمة: الآيات ١-٩.
- (٣٧) العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد الكناي، (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م: ١٥٦/٧؛ صحيح مسلم، رقم الحديث ٩٣٤: ٦٤٤/٢.
- (٣٨) سورة المائدة: آية ٣.
- (٣٩) حسن، د. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ط٧: ٦٤/١.
- (٤٠) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عني بجمعه وتصحيحه: محمد بهجت الأثري: ٦/٢.

- (٤١) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، بالقاهرة، ١٣٧٦هـ، ط ٢: ١٧/١.
- (٤٢) حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٥/١.
- (٤٣) عتر، عبد الرحمن، خطبة النكاح، مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط ١: ص ١٣؛ كذا الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٨م، ط ٢: ص ١٣١-١٣٢.
- (٤٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ: ٤/٤٦٤.
- (٤٥) سورة النساء: الآية ٢٢.
- (٤٦) مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث، ٢٥٣٩.
- (٤٧) الآلوسي، محمود، بلوغ الإرب، ٤٣/٢؛ كذا الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة، ط ٢: ص ١٣٥-١٣٦.
- (٤٨) الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ٨/١٨٣.
- (٤٩) سورة النساء: آية ٣.
- (٥٠) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتاب العلمية، طهران، (د.ت): ١٤٩/٩.
- (٥١) الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب: ٤٢/٣؛ الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة: ص ١٣٣.
- (٥٢) الخضري بك، محمد، محاضرات الأمم الإسلامية، ٢/١١؛ حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٥/١.
- (٥٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١٦٩/٥؛ البحتري، أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، (ت ٢٣١هـ)، ديوان الحماسة، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م: ٣٣٧/١.
- (٥٤) سورة العنكبوت: الآيتان ٦١-٦٣.
- (٥٥) الشعراوي، محمد متولي، المختار من تفسير القرآن العظيم، المكتبة الشريفة، مصر، ١٩٩٠م: ١٥٣/١.
- (٥٦) سورة يونس: الآية ١٨.
- (٥٧) سورة الأنعام: الآية ١٩.

- (٥٨) الملاح، د. هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١م: ص ٦١.
- (٥٩) الحمس: ابن البلدة وابن الحرم الوطني المقيم الذي ينتمي إلى الكعبة والحرم، فقال القرشيون: نحن بنو إبراهيم وأهل الحزمة وولاية البيت وقاطنوا مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ومثل منزلتنا. ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٦/١.
- (٦٠) صحيح مسلم، حديث رقم ١٢١٩، ٨٩٥/٢؛ وسورة البقرة: من الآية ١٩٩.
- (٦١) العمري، د. أكرم، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٦/١؛ وسورة الأنفال: الآية ٣٥.
- (٦٢) سورة النحل: آية ٣٨.
- (٦٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٧٧/١؛ ابن الكلبي، أبو المنذر، هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م: ص ٨-٩. "هبل": كان من العقيق الأحمر على صورة إنسان وكان مكسور الذراع الأيمن، فأبدله القرشيون ذراعاً من ذهب، وقيل: جيء به من قضاء هيت أحد أقضية محافظة الأنبار ونصب في بطن الكعبة على بئر الأحنف.
- (٦٤) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ٥٥/١.
- (٦٥) حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٧١/١.
- (٦٦) سورة النجم: الآيات ١٩-٢٠.
- (٦٧) البوطي، فقه السيرة: ص ٤٠.
- (٦٨) حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٧٣/١.
- (٦٩) جاء في كتاب الأصنام: ص ٣٧. أخذ هؤلاء يفكرون فاهتدى ورقة وعثمان إلى النصرانية، والتبس الأمر على عبيد الله فبقي على حاله حتى ظهر الإسلام فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة وهناك تنصر، أما زيد فلم يدخل النصرانية ولكنه أبعد الأصنام عن نفسه.
- (٧٠) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٢٣/١.
- (٧١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٨٠م، ط ٤: ص ٣٥.
- (٧٢) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ٦٥/١، الفرق بين الصنم والوثن: قيل، كان معمولاً من الخشب أو الذهب أو الفضة كصورة إنسان (فهو

- صنم) وإذا كان من الحجارة فهو (وثن). الأصنام: ص ٥٣. وقيل: الصنم، صورة بلا جثة. الوثن: كل ما له جثة من جواهر الأرض ومنهم من لا يفرق بينهما. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار الفكر، ١٩٥٦م: ٤٣٣/١٤، ٢٤١/١٥.
- (٧٣) صحيح البخاري: ٥١١/٨-٥١٢؛ وسورة نوح: الآية ٢٣.
- (٧٤) ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن كثير، دمشقي القرشي، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م: ط ٣.
- (٧٥) الجميلي: د. خضير عباس فياض، دور قریش قبل الإسلام، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة إلى مجلس معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦م: ص ١٤.
- (٧٦) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ط ٢: ٥٧/٤؛ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق: د. مارسدن جونز، مطبعة جامعة أوكسفورد، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م: ٦٥/١.
- (٧٧) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حمد الله، مطابع المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م: ٥٩/١.
- (٧٨) سورة قریش: آيات ١-٦.
- (٧٩) الخضري بك: محاضرات في تاريخ العرب: ص ٨٤.
- (٨٠) البلاذري: أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ص ٦٨.
- (٨١) كان الربا يبلغ أحياناً أضعاف القرض نفسه فتأكل بذلك أموال المدينة وتذهب حقوق الأفراد. الشريف: د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية، وعصر الرسول ﷺ: ص ١٣.
- (٨٢) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب، تدقيق: أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، ط ٦: ٥٨/٢.
- (٨٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قریش): ٣٣٤/٢.
- (٨٤) سوق عكاظ: من أهم الأسواق قبل الإسلام، إذ لم يقتصر على البيع والشراء، وإنما كان المنتدى العلمي والشعري، حيث أصبح مضرب الأمثال في كثرة الناس فيه.

وعكاظ: نخل في واد بين مكة والطائف. القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم،
الأمالي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٦م: ص ٢٥٦.
(٨٥) سوق مجنة: موضع قرب مكة يمر الظهران أعلى مكة، الأفغاني: سعيد، أسواق
العرب الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٠م، ط ٢: ص ٩٦.
(٨٦) سوق ذي المجاز: موضع بمنى بين مكة وعرفة. وتقام بعد انتهاء سوق عكاظ لمدة
عشرة أيام، وهي الكنانة وأرضها من أرض كنانة، وهي التي يقول فيها بلال
البحشي:

إلا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحوالي أذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة وطفيل

ج

الأزرقى: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت ٢٤٤هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها
من الآثار، تحقيق: رشدي صالح، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ط ٥: ص ١٩١.
(٨٧) الخضري بك: محمد، محاضرات في تاريخ العرب: ص ٩٦.
(٨٨) سالم: د. عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، جامعة الاسكندرية، مصر،
١٩٦٨م: ص ٥١٢-٥١٣.
(٨٩) سورة لقمان: آية ٣٧؛ سورة الأنعام: آية ٧؛ سورة الغاشية: الآيات ١٢-١٦؛
سورة الرحمن: الآيات ١٤ و ٧٤؛ سورة الإنسان: آية ١٦.
(٩٠) هيكل: محمد حسين، حياة محمد ﷺ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م، ط ٨:
ص ٣٨.

(٩١) علي: د. جواد، تاريخ العرب في الإسلام: ص ٦٨.
(٩٢) الشريف: د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ:
ص ١٠٣.

(٩٣) ابن كثير: أبو الفداء، البداية والنهاية: ١٩٢/٢.
(٩٤) الملاء: هم رؤساء العشائر الذين عدوا أنفسهم متساوين من حيث المبدأ واقتسموا
المناصب فيما بينهم، ويقال له في مصطلحاتنا (مجلس الوزراء).
وذكر المؤرخون بعض هؤلاء الرؤساء: قصي بن كلاب، عبد مناف، عبد المطلب،
هشام ابن المغيرة، قيس بن عدي بن سهم، عبد الله بن جدعان، أبو سفيان.

- (٩٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣١٣/٢-٣١٥.
- (٩٦) الآلوسي: محمود شكري، بلوغ الإرب: ٢٤٨-٢٤٩.
- (٩٧) الملاح: د. هاشم، الوسيط: ص ٥٠.
- (٩٨) الآلوسي: محمود شكري، بلوغ الإرب: ١٨٧/٢.
- (٩٩) العمري: د. أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٠/١.
- (١٠٠) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/٢-٥.
- (١٠١) مغازي، الواقدي محمد بن عمر: ص ٢٩٠.
- (١٠٢) الخضري بك، محاضرات في تاريخ العرب: ص ١٥٢.
- (١٠٣) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٠/١.
- (١٠٤) علي: د. جواد، تاريخ العرب في الإسلام: ص ٧٦.
- (١٠٥) الكبيسي: د. عبد الحافظ، خصائص المجتمع المكي في عصر النبوة والخلافة الراشدة، بيروت، دار اليمامة، ٢٠٠٨م: ص ٥١.
- (١٠٦) الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٨٥م، ط ٥: ٨/١.
- (١٠٧) سورة الأحزاب: آية ١٩.
- (١٠٨) سور الحشر: آية ٢.
- (١٠٩) سورة إبراهيم: آية ٤٦.
- (١١٠) الدليمي: موفق عبد الرزاق خلف، تصوير القرآن الكريم للمجتمع الجاهلي، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية، ببغداد، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ص ٨٩.
- (١١١) سورة إبراهيم: آية ٤.
- (١١٢) سورة الشورى: آية ٧.
- (١١٣) حسن: د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٦/١.
- (١١٤) دروزة: د. محمد عزة، عصر النبي ﷺ، وبيئته قبل البعثة، بيروت، دار الیقظة العربية، ١٩٦٤م: ص ٤٤٠.
- (١١٥) الجاحظ: أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين: ٧٦/٤.
- (١١٦) الزبير بن بكار: أبو عبد الله الزبير، (ت ٢٥٦هـ)، جمهرة نسب قريش أخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦١م: ٣٧٣/١.

- (١١٧) العلي: د. صالح أحمد، الدولة في عهد الرسول ﷺ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م: ص ٤٣٦.
- (١١٨) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ص ٤٥٧.
- (١١٩) ابن سعد، محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م: ٢/٢٢.
- (١٢٠) سورة القلم: آية ١.
- (١٢١) سورة القلم: آية ٣٧.
- (١٢٢) سورة القلم: آية ٤٧.
- (١٢٣) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/٣٧٤.
- (١٢٤) سورة الجمعة: آية ٢.
- (١٢٥) ٣/٣٠.
- (١٢٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م: ٤/٣٦٣.
- (١٢٧) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٩٣٣م، ط ٢: ص ١٢١.
- (١٢٨) صحيح البخاري، رقم ١٧٨٠، صحيح مسلم: رقم ١٨٠٦.
- (١٢٩) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم، الخراج: ص ٢٦-٢٧.
- (١٣٠) قطب: سيد، في ظلال القرآن، أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م: ٨/٩٣.
- (١٣١) قطب: محمد، رؤية إسلامه لأحوال العالم المعاصر، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٩٩١م، ط ١: ص ١٤.
- (١٣٢) سورة الأعراف: آية ١٩٩.
- (١٣٣) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م: ٧/٣٤٤.
- (١٣٤) مسلم: صحيح مسلم في باب الإيمان ٣٨، ابن حنبل، أحمد، (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، مصر، المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ: ٥/١٦١.
- (١٣٥) أمين: أحمد، فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ط ١: ص ٨٧.
- (١٣٦) سورة الزمر: آية ٦٤.

- (١٣٧) قطب: محمد، كيف نكتب التاريخ: ص ٤٢.
- (١٣٨) علي: د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م: ٣٧/١.
- (١٣٩) القيسي: د. نوري حمودي وآخرين، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م.
- (١٤٠) سورة الأنعام: آية ١٤٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر:

- ❖ الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت ٢٢٣هـ).
- (١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ط ٥.
- ❖ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت ٢٧٩هـ).
- (٢) أنساب الإشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، مطابع المعارف، ١٩٥٩م.
- ❖ الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، (ت ٣٥٦هـ).
- (٣) الأغاني، القاهرة، طبعة مصورة من دار الكتب، ١٩٦٣م.
- ❖ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ).
- (٤) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام، محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م، ط ٩.
- ❖ ابن كثير: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي، (ت ٧٤٤هـ).
- (٥) البداية والنهاية، تحقيق: د. أحمد ملحم، بالاشتراك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ط ٣.
- ❖ الرازي: أبو عبد الله بن محمد الملقب بفخر الدين الرازي، (ت ٦٠٦هـ).
- (٦) التفسير الكبير، طهران، دار الكتب العلمية، (ت. ت).
- ❖ الطبري: أبو جعفر بن جرير، (ت ٣١٠هـ).
- (٧) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ط ٤.

- ❖ **الزبير بن بكار:** أبو عبد الله الزبير، (ت ٢٥٦ هـ).
- (٨) جمهرة نسب قریش وأخبارها، ج ١، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦١م.
- ❖ **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١ هـ).
- (٩) الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٢م.
- ❖ **أبويوسف:** يعقوب بن إبراهيم، (ت ١٨٣ هـ).
- (١٠) الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢ هـ.
- ❖ **الجميري:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠ هـ).
- (١١) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
- ❖ **ابن هشام:** محمد بن عبد الملك النحوي، (ت ٢١٨ هـ).
- (١٢) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨م.
- ❖ **ابن كثير:** أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي القرشي، (ت ٧٧٤ هـ).
- (١٣) السيرة النبوية، تحقيق: أحمد ملحم بالاشتراك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
- ❖ **البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦ هـ).
- (١٤) صحيح البخاري، بيروت، لبنان، عالم الكتب، (ب، ت).
- ❖ **مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١ هـ).
- (١٥) صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ١٩٥٦م.

- ❖ **ابن سعد:** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت ٢٣٠هـ).
- ١٦) الطبقات الكبرى، بيروت، لبنان، دار صادر، ١٩٥٧م.
- ❖ **ابن عبد ربه:** أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ).
- ١٧) العقد الفريد: بيروت، دار الهلال، ١٩٨٦م.
- ❖ **العسقلاني:** ابن حجر أحمد بن علي بن محمد الكناني، (ت ٨٥٢هـ).
- ١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، (١٤١٠هـ).
- ❖ **الزمخشري:** محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ).
- ١٩) الكشاف عن وجوه التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مصر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٤٨م.
- ❖ **ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ).
- ٢٠) لسان العرب، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٦م.
- ❖ **الواقدي:** أبو عبد الله محمد بن عمر، (ت ٣٠٧هـ).
- ٢١) المغازي، تحقيق: مارسون جونس، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م.
- ❖ **ابن قتيبة:** أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ).
- ٢٢) المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ❖ **المسعودي:** أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ).
- ٢٣) مروج الذهب، تحقيق: أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، ط ٦.
- ❖ **ابن حنبل:** أحمد، (ت ٢٤١هـ).

- ٢٤) مسند الإمام أحمد، مصر، المطبعة اليمنية، ١٣١٣هـ.
- ❖ الحموي: ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحمصي، (ت ٦٢٦هـ).
- ٢٥) معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م.
- ❖ البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ).
- ٢٦) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ثانياً: المراجع:**
- ٢٧) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٠م.
- ❖ حوى: سعيد.
- ٢٨) الأساس في السنّة وفقهها- السيرة النبوية- الأردن، عمان، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
- ❖ الألوسي: محمود شكري.
- ٢٩) بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عُنِي بجمعه وتصحيحه: محمد بهجت الأثري.
- ❖ رضا: رشيد، (ت ١٣٥٤هـ).
- ٣٠) تفسير المنار، القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٤٦هـ.
- ❖ حسن: د. إبراهيم حسن.
- ٣١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦٤م، ط ٤.
- ❖ العلي: د. جواد.
- ٣٢) تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٧م.
- ❖ القيسي: د. نوري حموي، وآخرين.
- ٣٣) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، بغداد، دار الحرية، ١٩٧٩م.
- ❖ الجميلي: د. رشيد.

٣٤) تاريخ الإسلام في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٢م.

❖ هيكّل: محمد حسين.

٣٥) حياة محمد، القاهرة، مطبعة النهضة، ١٩٦٣م، ط ٨.

❖ عتر: د. عبد الرحمن.

٣٦) خطبة النكاح، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٥م، ط ١.

❖ البوطي: د. محمد سعيد رمضان.

٣٧) فقه السيرة، بغداد، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٩٠م.

❖ قطب: سيد.

٣٨) في ظلال القرآن، لبنان، أحياء التراث العربي، ١٩٦٧م، ط ٥.

❖ سالم: د. عبد العزيز.

٣٩) دراسات في تاريخ العرب، مصر، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨م.

❖ أمين أحمد:

٤٠) فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ط ٦.

٤١) ديوان الحماسة، البحتري، أبو تمام، بيروت، دار الفكر العربي،

١٩٨٥م.

❖ قطب: محمد

٤٢) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي،

مكتبة القدس، ١٩٩٢م.

❖ الندوي: أبو الحسن علي الحسيني

٤٣) السيرة النبوية، لبنان، صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر،

١٣٩٩هـ.

❖ العمري: د. أكرم ضياء.

٤٤) السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والفكر،

١٩٩٣م.

❖ الشريف: د. أحمد إبراهيم.

(٤٥) مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، بيروت، دار الفكر العربي، (ب، ت)، ط ٢.

❖ الخضري بك: محمد

(٤٦) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٣٧٦هـ، ط ٧.

❖ العلي: د. جواد

(٤٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م.

❖ الشعراوي: محمد متولي

(٤٨) المختار من تفسير القرآن العظيم، مصر، المكتبة الشرعية، ١٩٩٠م.

❖ الملاح: د. هاشم يحيى

(٤٩) الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، جامعة الموصل، ١٩٩١م.

❖ الكبيسي: د. عبد الحافظ

(٥٠) ويسألونك عن المرأة، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٧م، ط ٢.
(٥١)